إشكالية تدبّر المتلقي في النص القرآني

م.د. ضحى علي حسين
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعية
dhuhaaihussein@gmail.com

الكلمات المفتاحية : النصّ، المتلقي، المتدبّر.

المستخلص:

يحاول البحث أن يطرح استفهامات مستوحاة من نافذة التدبّر التي يأمر بها القرآن الكريم، عادًّا إياه حجة على الخلق، إذ إنّه صنّف الناس تجاه النصّ القرآني صنفين: متدبّر، ومقفل القلب، ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (سورة محمد 24)، الأمر الذي يضعنا أمام مجموعة أسئلة مفادها: ما مسؤوليتنا تجاه النصّ القرآني؟، وهل بإمكان الفرد أن يعي القرآن اعتمادًا على التدبر؟، وما آليات التدبر؟، وهل هناك شروط ينبغي توافرها في المرء ليستحق صفة المتدبّر؟، وهل المتدبّر مفسّر؟، وما العلاقة بين التأويل والتدبّر؟، وهل ثمة صلة رابطة بين التدبر وما أشار إليه النبي (صلى الله عليه وآله) من عرض كلامه وفعله وتقريره على كتاب الله تعالى؟، وكيف يمكن الحفاظ على التدبّر من أن يدخله التأويل بالرأي؟، هذه الاستفهامات وما يرتبط بها يسعى البحث إلى الإجابة عنها بما سيعرضه من تحليلٍ، ونصوص دالّة على ذلك التحليل، وصولًا إلى الغاية المرادة من فهم النصّ، وهي أن يكون حاضرًا عمليًّا في الحياة.

Abstract:

This study makes an effort to raise questions that are prompted by the contemplative method that the Holy Qur'an recommends, regarding it as a defense of creation. Instead, it separated the two types of responses to the Qur'anic text into two categories: closed-hearted and reflective. Do they not think about the Qur'an, or are their hearts locked up? This issue raises the following queries: What duty do We have toward the Quranic text? Is it possible for someone to understand the Qur'an purely via contemplation? What are the techniques for contemplation? Exist any requirements for someone to be considered prudent? Do the wise take into account interpreter? What connection exists between contemplation and interpretation? Is there a connection between meditation and what the Prophet (may Allah bless him and his family) meant when he said that he would bring his words, his deeds, and his choice to the Book of Allah Almighty? How can thought be kept from being influenced by interpretation or opinion? Through its investigation, the study will attempt to provide answers to these concerns and matters relevant to them.

أولا: المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على الأنبياء الهداة، وعلى نبينا الأمين محمد وآله الأطهار صلوات الله تعالى عليهم.

وبعد، فإنّ الله تعالى يدعونا إلى التدبّر والتّفكّر في كلّ صغيرة وكبيرة تمرّ بنا، وقد أكد عزّ وجلّ ضرورة أن تُؤثّث حياتنا العقائدية والعملية على أساس التدبّر في كتابه المبارك، إذ قال عزّ وعلا: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ (سورة محمد، الآية 24)، فضلاً عن أنّ النّصوص الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وعن الأئمة في التّفكّر والتّدبّر في القرآن كثيرة جداً، ويكفي أنّك تعود إلى أبواب فضل القرآن وقراءته في كتب المرويات المشهورة؛ لترى أنها حافلة بالدعوة إلى التفكّر والتدبر بآيات الله المباركات، وقد وُضّح في طيّات هذا البحث جملة تساؤلات تعدّ باباً للدخول إلى ثقافة التّدبّر في القرآن الكريم، أبرزها: ماذا تعرف عن التّدبّر في النصّ القرآنيّ؟، وما الطريقة المقبولة في تدبّر النصّ القرآنيّ؟، وهل يمكن أن يقع المتدبّر في مشكلة التأويل بالرأي، أو أنّه لا يحق له التأويل؟، وما المواصفات التي ينبغي أن يتحلّى بها المتدبر؟، وهل التدبّر يفضي إلى إعطاء رؤى جديدة حيال النصوص القرآنيّة؟، وغيرها من الاستفهامات التي ستتضح في أثناء البيان إنّ شاء الله تعالى، وعليه جاء البحث موزعًا بين العنوانات الآتية: مشروعية التّلقي والتّدبّر في النّصوص القرآنيّة والروائيّة، وإشكاليّة وقوع المتدبّر في التأويل بالرأي، والشرائط التي ينبغي توافرها للتدبّر السليم، وأبرز طرق التّدبّر.

وفي نهاية البحث سجّلت بعض النتائج التي توصل إليها البحث، وختاماً أشكر كلَّ من قدّم معونة وجهداً لإتمام دراستي هذه، والله أسأل أن يبارك في عملي هذا وينفع به أنّه سميع مجيب.

ثانيا : مشروعية التلقي والتدبر في النصوص القرآنية:

وُلِد النصّ القرآنيّ ليتنفس العمل في قلوب وأسطح أجساد من يتلقاه، وبذا يتحقّق المراد ويأخذ النصّ مدياته في الواقع إدراكا وسلوكًا، وعليه لا بدّ مبدئيًّا من معرفة ما يُقصد بمفردة التلقي والتدبّر في المعنى اللغوي والاصطلاحيّ، إذ تعدّ المصطلحات مفاتيح يُعرف بها المخفي في المعنون.

فالتلقيّ لغويًّا هو "كل شيء استقبل شيئًا أو صادفه فقد (لَقِيَهُ) ومنه لقاء البيت وهو استقباله، و(ألقيتُ) الشيء بالألف طرحته، و(ألقيتُ) إليه القول وبالقول أبلغته، و(ألقيتُهُ) عليه بمعنى أملَيْتُهُ، وهو كالتعليم"[1]، وأورد صاحب اللسان في مادة (لقا) قوله: "هو الاستقبال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، قال الفراء: يريد ما يُلقّى دفع السيئة بالحسنة إلا من هو صابر أو ذو حظ عظيم، فأنثها لتأنيث إرادة الكلمة، وقيل في قوله: وما يلقاه، أي: ما يُعلّمها ويُوفّق لها إلا الصابر. وتلقّاه أي: استقبله، وفلان يتلقى فلانًا، أي: يستقبله... وأما قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ

كَلِمَاتٍ﴾ فمعناه أنه أخذها عنه، ومثله لَقِنَها وتَلَقَّنَها، وقيل: فتلقى آدم من ربه كلمات، أي: تعلَّمها ودعا بها"[2]

أما التلقيّ في الاصطلاح فهو: "عملية ذات وجهين، أحدهما الأثر الذي ينتجه العمل في القارئ، والآخر كيفية استقبال القارئ لهذا العمل (أو استجابة له)"[3].

والتلقي يضم عناصر عدّة منها: استقبال، واستجابة، وقراءة، وتأثير، وتقبل[4].

أما مشروعية التلقي من الناحية القرآنية التي هي مقدمة لمشروعية التدبر؛ بلحاظ أنه هناك علاقة تواصلية، وتفاعلية بين الخطاب القرآني، والتلقي، والتدبر، فإننا نجد أن القرآن الكريم أورد مصطلح التلقي في نصوصه المبارك، بدلالات: الاستقبال، والتعلّم، والتقبّل، والنيل، إذ قال عزّ وجل في محكم كتابه العزيز: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة البقرة، الآية36) وأيضاً: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (سورة النمل، الآية 6)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (سورة فصلت، الآية 34) "وفي الآية ... دلالة ظاهرة على أن الحظ العظيم إنما يوجد لأهل الصبر خاصة"[5]. وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ (سورة النور، الآية 15) تلقّونه، أي: "ينقله بعضكم عن بعض من غير دليل"[6].

أما في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ (سورة البقرة، الآية 36)، فقد ذكر الطبري في بيانها قوله: "أما تأويل قوله تعالى : فتلقى آدم فقيل إنه أخذ، وقيل: وأصله التفعيل من اللقاء كما يتلقى الرجلُ والرجلَ مستقبله عند قدومه من غيبته أو سفره، فكأن ذلك كذلك في قوله (فتلقى)، كأنه استقبله فتلقاه بالقبول حين أوحى إليه أو أخبر به، فمعنى ذلك إذًا: فتلقى الله آدم كلمات توبه، فتلقاها آدم من ربه"[7]، وأما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (سورة النمل، الآية 6) وهنا (التلقى) معناها : "التلقية قريبة المعنى من التلقين"[8].

وتأسيسا على ما تقدّم: فإن الهدف المبدئي للخطاب القرآني هو خلق نوع من التواصل والتفاعل بينه وبين متلقيه، وهذا يعني أنّه لا بدّ من التفكّر والتأمّل في نصوصه تدبّرها. ونلحظ من خلال الاطلاع على جملة من النصوص الكريمة الدعوة الصريحة إلى التلقي والتفكر، ممّا يدلّ على حثّ الله تعالى الناس على التدبر الذاتي عن طريق التعقّل والتعلّم والفهم، ولاسيما أنّ الباري (عزّ وجلّ) قد هيّأ الأرضية المناسبة لذلك عندما أنزل القرآن الكريم مثيرًا الفطرة السليمة في قلب كل إنسان، وأنه أنزل كتابه بلغة من خاطبهم، إذ قال تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (سورة الفرقان، الآية 1)، وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا﴾ (سورة النساء، الآية 174)

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يونس، الآية 57) .

إنّ ثمة معاني عميقة لا متناهية كامنة في الدلالة القرآنية تتجاوز الإفصاح ويتضمنها الإفهام "لما قد علم من أنّ إفهام القرآن أضعاف إفصاحه، بما لا يكاد ينتهي عدّه، فلذلك يكثر فيه الخطاب عطفاً، أي من غير مذكور، ليكون الإفصاح أبدا مشعرا بإفهام يناله من وهب روح العقل في الفهم كما يناله الإفصاح من وهبه الله نفس العقل الذي هو العلم"[9].

والتدبر في المعنى اللغوي يعني "أن يدبر الإنسان أمره، وذلك أنه ينظر إلى ما تصير عاقبته وآخره"[10]، "ودبّر الأمر وتدبّره: نظر في عاقبته... والتدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، والتدبّر: التفكر فيه، فلان ما يدري قِبالَ الأمر من دِباره، أي أوّله من آخره، ويقال : إن فلاناً لو استقبل من أمره ما استدبره لهُدي لوِجهةِ أمره، أي: لو علم في بدء أمره ما علمه في آخره لاسترشد لأمره"[11]، أما معناه اصطلاحًا: "تصرّف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب، والتفكّر: سراج القلب يرى به خيره وشره ومنافعه ومضارّه، وكل قلب لا تفكر فيه فهو في ظلمات يتخبط، وقيل: هو إحضار ما في القلب من معرفة الأشياء،... وقيل: مصباح الاعتبار ومفتاح الاختبار"[12]، وقيل: "التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك من العمل والاتباع"[13].

نلحظ حثًّا شديدا، وبعض الاحيان ترد نصوص فيها تعنيف من الباري تعالى لعدم التدبر، إذ غايته تعالى كما ذُكِر مسبقًا أنه يريد إخراج النص من فضاء الحروف الملفوظة إلى الحياة الواقعية، إذ قال تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ (سورة ص، الآية 29)، وقال: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (سورة النساء، الآية 82)، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (سورة محمد، الآية 24). وأيضاً نزلت نصوص قرآنية تأمر بالتدبر بألفاظ قريبة، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ (سورة آل عمران 190)، وقال عزّ وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة يوسف، الآية : 190)، وقال: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى﴾ (سورة طه، الآية 54). وقال تعالى : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الحشر : الآية 21)، وقال أيضاً : ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (سورة المؤمنون : 68)، وقال تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية 266)، وعليه فإنّ جملة النصوص القرآنية التي عرضناها

يتوضح منها أنّ التدبر هو المسلك للانتفاع من نزول الآية والتأثر بها ثم العمل بها، فالمسألة ليست عبارة عن تلاوة تتردد على الألسن، بل نجد حثًّا وتشدّدا من الباري تعالى على التعقل والفهم والتأمل، وصولا إلى الإجراء العمل، وكل هذا يصب في معنى التدبر.

وبناءً على ذلك ينبغي على العبد التدبر في نصوص القرآن الكريم، فكلّ فرد فينا يقع في الكثير من الإشكاليات في حياته العملية، ولا بدّ من التواصل مع القرآن الكريم لعمل الصواب، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (سورة الاسراء : الآية 9).

ويُعتقد أن التدبر شُرِّع لمنع دخول ثقافة الأماني في المسلمين، يقول ابن عاشور في الاية ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ (سورة البقرة، الآية78) "وقد قيل: الأماني القراءة، أي لا يعلمون الكتاب إلا كلمات يحفظوها ويدرسونها لا يفقهون منها معنى كما هو عادة الأمم الضالة، إذ تقتصر من الكتب على السرد دون فهم... وعندي أن الأماني هنا التمنيات، وذلك نهاية في وصفهم بالجهل المركب، أي: هم يزعمون أنهم يعلمون الكتاب وهم أميون لا يعلمونه، ولكنهم يدَّعون ذلك لأنهم تمنّوا أن يكونوا علماءَ فلما لم ينالوا العلم ادّعوه باطلاً فإنّ غير العالم إذا اتهم بميسم العلماء دلّ ذلك على أنه يتمنى لو كان عالماً"[14]. قال ابن القيم : "ليس شيء انفع للعبد في معاشه ومعاده واقرب الى نجاته : من تدبر القرآن واطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته"[15].

أضف لما تقدّم من نصوص دالّة على ضرورة التدبّر في القرآن المبارك فإننا نلحظ في النصوص الروائية حثًّا وتأكيدًا على مسألة تدبّر النص القرآني، إذ ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: "إن هذا القرآن فيه منار الهدى ومصباح الدجى فليجلُ جالٍ بصره، ويفتح للضياء نظره فإن التفكير حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور"[16].

وعن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) : "آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها"[17].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): "(ألا أخبركم بالفقيه)؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يرخص في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره، ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه"[18].

وقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبة الغدير عن التدبر في القرآن الكريم قوله: "تدبروا القرآن وافهموا آياته وانظروا إلى محكماته ولا تتبعوا متشابهه"[19].

وأيضا عن زياد بن لبيد قال: "ذكر النبي (صلى الله عليه وآله) شيئاً، فقال: وذاك عند آوان ذهاب العلم، قال: قلنا يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه ابناؤنا أبناءهم إلى القيامة، قال ثكلتك أمك يا ابن أم لبيد ان كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أوليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والانجيل لا ينتفعون مما فيها بشيء؟"[20].

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : "إنّ الله قسّم كلامه ثلاثة أقسام: فجعل قسما منه يعرفه العالم والجاهل، وقسما لا يعرفه إلا من صفا ذهنه، ولطف حسه وصح تمييزه، ممن شرح الله صدره للإسلام، وقسما لا يعلمه إلا الله وملائكته والراسخون في العلم"[21].

وأيضاً عنه (عليه السلام) : "وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص"[22]، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : "لا مال أعود من العقل، ولا عقل كالتدبر"[23].

وأيضاً قال (عليه السلام) : "التدبر قبل العمل يؤمنك من الندم"[24].

وعن ابي هريرة : "إنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : قال (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)"[25].

ممّا تقدّم نستطيع القول اننا نجد الحث والتأكيد بشأن التدبر في آي الذكر الحكيم بواسطة العقل، فهما مرتبطان، أي: العقل والتدبر لا يفترقان عن بعضهما البعض، إذ عندما نتدبر النص القرآني يعني هذا أننا من أهل التعقل، وعندما نتعقل الآيات ونتأمل فيها يعني هذا أننا من أهل التدبر، إذ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ (سورة الزمر، الآية 18)

بقي أن نقف عند طبيعة تعاطينا مع النصّ القرآني، فإننا نجد رغم التأكيد على التدبر والتفكر في النص القرآني وصولا إلى تمظهر ذلك النص في حياتنا، نجد التعامل مع الخطاب القرآني معاملة تعبدية مقتصرة على التلاوة وبعض القضايا المرتبطة بالجانب الشكليّ. ويمكن تصنيف طبيعة التعامل مع النصّ القرآنيّ في عصرنا الحالي بالآتي[26]:

1- يُعدّ القرآن طريقاً للكسب، وباباً للارتزاق، ووسيلة للعلاج عند البعض فحسب، فإذا ضعف بصره، أو وجعت أسنانه، أو آلمته امعاؤه هرول إلى القرآن؛ ليتلو آيات معينة منه؛ حتى ترتفع بسببها هذه الاسقام. أما في غير هذه الحالة فلا شأن له بالقرآن، وهناك مجموعات أخرى لا تفتح القرآن إلا عند الاستخارة، أو حين السفر، أو عندما يموت أحد الأقرباء. ومن الواضح أننا لا ننتقد هنا الاستفادة من

القرآن في هذه المجالات، وإنما ننتقد تحديد الإفادة منها ضمن هذه الإطارات؛ لإن القرآن كتاب حياة، يقول الله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ (سورة الانفال، الآية 24).

2- التلاوة السطحية للقرآن، فالنّاس تقرأ القرآن وتستمع إلى تلاوته، ولكن كحروف بلا معنى، وكلمات بلا مفهوم، ومن هنا فإنها لا تعمل بالقرآن، كما هو المطلوب لأنها لا تفهم القرآن، والفهم هو المقدمة الطبيعية للعمل بالشيء، بينما كان المسلمون الأولون لا يقرأون آية حتى يتفكروا في أبعادها المختلفة، وحتى يعوها بنحو كافٍ. إن على من يقرأ القرآن أن يستثير عقله به، ويفقه ما وراءه من أبعاد كامنة، وإلّا، فينطبق عليه حديث الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) حين قال عن بعض الآيات "ويل لمن لاكها بين لحيه (وهما عظمتا الفم) ثم لم يتدبروها"[(27)].

3- الاهتمامات الثانوية: ولأن النّاس أهملت فهم (لباب) القرآن، اندفعت في طريق البحث عن القشور فأخذوا يصرفون في جهودهم على قضايا ثانوية، وكان الأحرى بهم أن يصرفوها في مجالات أكثر تأثيراً، وفائدة، فنجد عدد من الباحثين يقضي آماداً طويلة من عمره لكي يجيب على الأسئلة الآتية: كم هي عدد كلمات القرآن؟ وكم هي حروفه؟ وكم تكرر حرف الألف فيه؟ وكم تكرر حرف الباء فيه؟ وكم تكرر حرف التاء فيه؟ وهكذا، إلى آخر حروف الهجاء. والله اعلم بكمّ الجهود التي صُرفت في سبيل معرفة هذه القضية، ولاسيّما أنها لم تتم في العصر الحديث، حيث يسرت العقول الالكترونية الأمر، بل تمت في عصور ماضية ثم نجد أن كثيراً من الدراسات التي كُتبت في القرآن لا تتناول إلا القضايا الهامشية فمثلاً في (123) كتاباً ألف حول القرآن الكريم نجد أن (37) منها تتحدث حول قضايا شكلية، مثلاً : عدد آيات القرآن –الجمع والتثنية– طبقات القراء، نقط القرآن! الرومي والمعَّرب في القرآن...الخ[(28)].

وهذا يعني أن نحو ثلث الجهود والطاقات صرفت في قضايا جانبية، ومثال آخر للاهتمامات الثانوية حين قراءة القرآن: الاهتمام بأشخاص القصص القرآنية، وبقضايا هامشية في حياتهم وترك القضايا المهمة التي لأجلها سُردت القصص وهي أخذ العبر والمواعظ.

4- الفهم التجزيئي للقرآن: ويعني ذلك فهم القرآن بشكل تفكيكي، يتفضل بعضه عن البعض الآخر وبعبارة أخرى : فهم كل آية قرآنية وكأنها عالم مستقل قائم بذاته من دون ربطها بالآيات الأخرى وقد يترتب على ذلك نتائج خطيرة.

5- الفهم المصلحي للقرآن : ويعني ذلك:

أ- فهم آيات القرآن يكرس بشكل مصالح الفرد في الحياة، ويبرر أهواءه وشهواته.

ب- الاقتصار على جانب معين من (قيم القرآن) وإهمال سائر الجوانب التي تتطلب من الإنسان العطاء والتضحية، مثلاً: يفهم القرآن في جانبه الذي يتحدث عن العبادة فحسب – لأن العبادة

هي عادة درج عليها، ولا تكلفه كثيراً – ولكنه لا يفهم القرآن في جوانبه السلوكية، والعملية، والجهادية؛ لأن ذلك يكلفه مصالحه وأنانيته.

6- الفهم الميت للقرآن: ويتم ذلك بفصل القرآن عن الواقع المعاش، وربطه بقضايا ميتافيزيقية، أو قصص تاريخية لا تؤثر في الواقع القائم شيئاً.

7- الفهم بديلاً عن العمل: إن القرآن الكريم (صراط)، وذلك يعني: أن على الفرد أن يعبر من خلال القرآن إلى العمل بالقرآن، من هنا كانت الطلائع المسلمة في عصور الرسالة الأولى تفهم القرآن طريقاً للعمل، ومنهاجاً للمسير ولكن أجيالنا الحاضرة تفهم القرآن هدفاً بذاته وليس وسيلة للعمل به وهكذا، لم يبق من الإسلام إلّا اسمه، ومن القرآن إلّا رسمه، كما تنبأ بذلك الإمام علي (عليه السلام) من ذي قبل، وعلينا الآن، أن ننفض عن أنفسنا غبار الماضي ونبدأ في تعامل جديد مع القرآن، كما أراده الله سبحانه؛ حتى يغير الله ما بنا ويأخذ بأيدينا إلى القمة.

والغريب أننا نؤمن جميعاً بأن هذا القرآن هو النور، هو الروح، هو الهدى، هو الشفاء، هو الفرقان، ولكننا لا نهتم لأمر القرآن على المستوى المعرفي والعملي.

<u>ثالثا: إشكالية وقوع المتدبر في التأويل بالرأي:</u>

تتأتّى أهمية هذا المبحث من بيان الإشكالية أين تقع؟، وما أسباب وقوع المفسّر بما نهت عنه بعض الروايات في مسألة التفسير بالرأي؟، أولاً: لا بدّ من معرفة "أنّ المراد من التفسير بالرأي هو أن يكون الرأي والعقيدة المسبقة هو الملاك للتفسير، فالمفسّر – بدلَ أن يتجرد عن الآراء المسبقة ويوطِّن نفسه على ما توحيه الآية حسب الأُصول والقواعد– يُخضع القرآن لعقيدته، ويعرضه عليها، مع أنّ القرآن حجّة الله على خلقه وعهده إلى عباده، فيجب أن يُحتكم إليه ويصدر عن حكمه لا بالعكس"[(29)]، وعلى هذا الاساس نهت الروايات الشريفة عن (التفسير بالرأي) بل وبينت أنّ عقوبة من تناول هذا النوع من التفسير نار جهنّم، إذ ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): "من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"[(30)].

وروى الصدوق بإسناده عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال (جلّ جلاله): "ما آمن بي من فسر برأيه كلامي"[(31)].

وقال امير المؤمنين (عليه السلام): "إياك أن تفسر القرآن برأيك حتى تفقه عن العلماء"[(32)].

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) عندما فسر آية لجابر بن عبد الله الانصاري (رضي الله عنه) مرتين بتفسيرين مختلفين فسأله عن ذلك فقال: "إن للقرآن بطنا وللبطن بطنا وله ظهر، وللظهر ظهر، يا جابر! وليس شيء ابعد من عقول الرجال من تفسير القرآن"[(33)].

وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: "اتقوا الحديث إلا ما علمتم، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"[(34)].

"إن التفسير بالراي لا يعني (التدبر في القرآن)، إذ إن هذه الروايات لا يمكن أن تنهي عن نفس ما أمر به القرآن الكريم، والروايات الأخرى، بل إنها تحمل أحد المحتملات الآتية:

1- أن يتحمل الفرد آراءه الشخصية، على تفسير معاني آيات القرآن بأحد الأشكال الآتية:

أ- حمل اللفظ القرآنيّ على خلاف ظاهره.

ب- حمل اللفظ القرآنيّ على أحد احتمالية – دون أي دليل.

مثلا: يُحمل (القرء) في قول تعالى : ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ**﴾ (سورة البقرة، الآية 228) على الحيض دون الطهر (باعتبار أن القرء) لفظة مشتركة بين الطهر والحيض) من دون دليل.

ج- التعسف في تأويل الآيات القرآنية.

أما الأسباب الكامنة وراء هذا التحريف المعنوي الذي يأتي تلبية لآراء الفرد فهي:

1- الأهواء الشخصية للفرد، فبعض من لم يدخل نور الإيمان قلوبهم يحاولون أن يخضعوا آيات القرآن لأهوائهم وشهواتهم؛ ولذلك فهم يحاولون فهم الآيات القرآنية (بآرائهم)، أي حسب أهواءهم وشهواتهم. مثلاً: يفسرون قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ (سورة البقرة، الآية 195) بأن على الفرد أن لا يعمل، ولا يجاهد، ولا يتحرك، لأن ذلك يعني (التهلكة) التي قد نهانا الله عنها، وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ (سورة المائدة، الآية 105). بأن مسؤولية الفرد محصورة في إطار ذاته، ولا شأن له بالآخرين، فليذهب العالم كله إلى الجحيم! ليس ذلك مهماً! والمهم أن يحافظ الفرد على صومه وصلاته، وبعض آخر من الواجبات الفردية وليس أكثر من ذلك.

ويفسرون (الصبر) الذي ورد الأمر به كثيراً في القرآن الكريم والسنة الشريفة بأنه يعني: الخضوع للطواغيت، والاستسلام لهم، و(التقية) بأنها تعني: الجمود والتوقف، و(التوكل) بأنه يعني: إيكال المسؤوليات إلى الله، والجلوس في زوايا البيوت دون أي عمل. و(الزهد) بأنه يعني: اعتزال الدنيا، وترك (الفاسقين) و (الكفار) يمرحون فيها ويلعبون، وانتظار ثواب الله في الآخرة، وهلم جراً. وهذا هو أحد مصاديق (التفسير بالرأي) المنهي عنه في الروايات، الذي يعني حمل آيات القرآن الكريم على طبق (الآراء) التي تكونت للإنسان من خلال أهوائه وشهواته.

وعلى مرّ الزمن يتحول (هوى الإنسان) إلى رأي –ونظرية ثم يحاول الإنسان- تطويع (الدين) ليأتي مؤيداً، بل ومشجعاً على هذا (الرأي). وهنا يأتي الحديث الشريف: "من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار".

ثانياً: المسبقات الفكرية المترسبة في عقلية الفرد، هنالك كثيرون يقرأون القرآن، وأدمغتهم مشحونة بالأفكار، والرؤى والمفاهيم المسبقة، ولذلك فهم لا يرون القرآن إلا من خلال أفكارهم، ولا يجدون في القرآن إلا ما يؤيد هذه الأفكار، إنهم يحاولون فهم القرآن كما تقتضي اتجاهاتهم وأفكارهم، بدل أن يكونوا (تلامذةً) متواضعين بين يديه، فهم يحاولون توجيه القرآن على حسب ما تقتضيه أفكارهم، ولا يسعون لتهذيب أفكارهم على حسب ما تقتضيه مفاهيم القرآن الرفيعة، وهذا أيضا أحد مصاديق (التفسير بالرأي) المنهي عنه.

ثالثاً : التسرع في تفسير الآيات القرآنية على حسب ما يظهر للفرد في بادئ الرأي، ووفق ما توحي إليه ظنونه الأولية، من دون الاستيقان، ومن دون الرجوع إلى سائر الآيات والروايات الواردة في ذلك الموضوع.

ذلك لأن الرأي في اللغة يعني: اعتقاد النَفْس أخذ النقيضيَنِ عن غَلَبةَ الظَّن، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿**يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ**﴾[35] (سورة آل عمران، الآية 13).

ومن هذا القبيل أن يقرأ الإنسان قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ (سورة طه، الآية 5). فيتصور الله جسماً قد تربع على عرشه العظيم، إن هذا الشكل من الفهم المتسرع للآيات القرآنية، على حسب ما يقتضيه الظن والتخمين، وبعض الاستحسانات العقلية هو ما نهت عنه الروايات السابقة.

إنّ فهم آيات القرآن الكريم المرتبطة بالأحكام، والآيات المتشابهة، والآيات المحكمة وما شابه بعيداً عن روايات أهل البيت (عليهم السلام) وبدون توفير قاعدة علمية رصينة لا تؤهّل الإنسان للاستنباط، ذلك لأنه في عهد الرسالة كان النبي (صلى الله عليه وآله) هو الذي يشرح للمسلمين الآيات الغامضة المبهمة، وفي ذلك يقول الله سبحانه: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾(سورة النحل، الآية 44).

"ولكن: ماذا بعد رحيل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ لقد خَلّف النبي من بعده : كتاب الله، والعترة .. وقد قَرَن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) القرآن بالعترة في أحاديث كثيرة"[36]، ومن هنا، فإنّ أيَّ محاولة للفصل بينهما، هي محاولة خاطئة، وقد أُكِّد ذلك في جملة نصوص روائية منها ما روي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): "إنما هلك الناس في المتشابه لأنهم له يقفوا على معناه، ولم يعرفوا حقيقته، فوضعوا له تأويلاً من عند أنفسهم بآرائهم، واستغنوا عن مسألة الأوصياء فيعرفهم"[37].

نجد أنّ الروايات التي تنهى عن (التفسير بالرأي) لا تقصد به النهي عن التدبر في القرآن الكريم، وإنّما تنهى عن تفسير القرآن بالرأي الشخصي النابع من الذات، لا من الواقع، بمختلف صوره واشكاله، فإذا كان القرآن كتابا غامضا يكتنفه الإبهام في الكلمة، وفي المعنى، وفي المغزى، فكيف نستطيع أن

نفهمه؟! ويمكن الإجابة عن ذلك بأنّ أغلب الآيات القرآنية هي آيات واضحة – في الكلمات والمعاني– والأهداف، كما قال سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾[38](سورة القمر، الآية 22).

أما التدبر في القرآن الكريم فهذا أمر ثانٍ مختلف عن التفسير بالرأي، إذ جعل تعالى في تدبّر النصّ القرآنيّ وسيلة، هي التعقّل عن طريق الثقلين: القرآن، وأهل البيت (عليهم السلام).

فالعقل الذي هو أداة التفكّر والتدبّر فضلا عن عوامل أخرى نجد الآيات القرآنية والماثور عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام) أشارت إلى أنه –أي: العقل– له القدرة على إدراك الحقائق الكليّة وبالأخص العلوم القرآنية، الأمر الذي يؤكد على ضرورة إعماله في عملية التدبر التي تُكشف بها مضامين الآيات الإلهية في القرآن الكريم.

رابعا: شرائط التدبر السليم:

إن تحقيق الخطوات السليمة في التدبّر بكتاب الله العزيز ينبغي أن ينطلق من مجموعة شروط يحرزها المتدبّر ليلج عالم المعنى في كتاب الله تعالى، وهذه الشروط هي:

الأول: الكفر بالطاغوت وإعلان الولاء لله وحده: يعدّ الطاغوت العقبة الكبرى التي يجب إزالتها من النفس حتى يتمكن الإنسان أن يعتقد ويؤمن إيماناً سليماً بالله تعالى؛ وذلك لكون أن أي التزام أو ارتباط بالطاغوت هو يعني صدًّا عن رؤية الحق، وحاجزا ومانعا للارتباط السليم بالله تعالى.

وهذا الشرط يُفهم من قوله تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ (سورة البقرة، الآية 256). فنلحظ أن النص قدّم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله؛ ليتحقق التمسك بالعروة الوثقى، وقد أشار إلى معنى النصّ القرآني قول الإمام علي (عليه السلام): "واعلموا أنّكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسّكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه"[39]، فالولوج إلى فهم كتاب الله والعمل به مقدمته الكفر بكل طاغوت، سواء كان هذا الطاغوت هو الهوى كما في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية 23)، أم كان طاغوت الكفر والظلم والفسق، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة 44)، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة 45)، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة 47)، وبالكفر بالطاغوت نكون قد وضعنا الخطوة الأولى في طريق التمسك بكتاب الله تعالى وإدراك معانيه.

ومن النصوص التي أشارت إلى خطورة الاحتكام إلى الطاغوت قوله عز وجل : ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا**﴾ (سورة النساء، الآية 60).

وقد ذكر محمد جواد مغنية في تفسيره الكاشف تعليقا على هذا النصّ قوله: "ألم تر الخطاب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بصيغة الاستفهام، والمرادية التعجب من حال المنافقين الذين أبطنوا الكفر، وأظهروا الإسلام والإيمان بالكتب السماوية، ومحل العجب انهم كذبوا أنفسهم بأنفسهم، حيث رفضوا التحاكم عند أهل الحق، وانصرفوا عنهم إلى أهل الباطل، مع أن الإسلام يأمرهم بالابتعاد عن الضالين والمبطلين، ولكن الواقع يغلب على التزييف والتمويه، وأبطل ما كان يدعون"[40].

فمن أراد معرفة مراد الباري تعالى من نصوصه القرآنية فعليه أن لا يوالي الظالم وان يكفر بكل برامجه ومشاريعه؛ لكونها تؤدي إلى إفساد عقول الناس والضلال .

وورد عن الإمام السجاد (عليه السلام) قوله لمحمد بن مسلم الزهري وهو من كبار العلماء: "واعلم أنّ أدنى ما كتمتَ وأخفّ ما احتملتَ أن آنستَ وحشةَ الظالم، وسهّلتَ له طريق الغيّ بدنوّك منه حين دنوت، وإجابتك له حين دُعيت، فما أخوفني أن تكون تبوء بإثمك غداً مع الخَوَنة، وأن تُسأل عما أخذتَ بإعانتك على ظلم الظَّلَمة... أوليس بدعائه إيّاك حين دعاك جعلوك قُطباً أداروا بك رحى مظالمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم، وسُلَّماً إلى ضلالتهم، داعياً إلى غَيّهم، سالكاً سبيلهم، يُدخلون بك الشكّ على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهّال إليهم، فلم يبلغ أخصُّ وزرائهم ولا أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغتَ من إصلاح فسادهم، واختلاف الخاصّة والعامّة إليهم"[41].

نلحظ الإمام السجاد (عليه السلام) حثّ الناس بعدم التعامل مع الظالم وأهل الجور، إذ يؤدي إلى فساد عقيدة المسلم كما ذكرنا، لِما لهم من مشاريع وخطط فاسدة تخرب عقول المجتمعات، وبالتالي فهم – اي: الظلمة – حاجز بين العبد وآيات الله تعالى، مما يؤدي إلى عدم فهم النصّ والمراد منه.

الثاني: التقوى: وتعني "الصيانة عن كلّ ذنب مؤذٍ، سواء كان صغيراً أو كبيراً"[42]، وهي الوقاية والحفظ من الوقوع، وهذا المعنى له دور أساسي في مسألة تدبر آيات القرآن الكريم؛ إذ نتيجة الخوف من الله تعالى يقي العبد من الوقوع في الشبهات أو الأباطيل أو الهوى، وبالتالي سيحكم على النصّ بأدلة وحجج وبراهين موثوقة يقينية؛ لأن التقوى هي المدخل لباقي الصفات الأخلاقية النبيلة، والتي بدورها تهذب العبد "...انّ للصفات الأخلاقية تأثيراً في سلامة الإدراك الإنساني وعدمها، من جهة أن الأخلاق الذميمة تمثل الرغبات الإنسانية إلى الخطيئة، ولهذا تأثير على الإدراك؛ لأن مسعاها في الوصول إلى غاياتها لا تقتصر على الدعوة إلى الإستجابة العملية لها؛ لأنّ هذه الاستجابة قد تواجه بالإدراك العقلي المانع عنها

والضمير الأخلاقي الوازع لها؛ ومن ثَمّ تسعى الرغبات في مواجهة هذا المانع للتأثير على الإدراك، وكيفية هذا التأثير ليست –بطبيعة الحال– صريحة ومعلنة بأن تكون أدلة وحججاً للإدراك المناسب لها؛ لأنّ الرغبة لا تصلح حجة على حقيقة ما، ولكنها تسلك مسالك أخرى ظريفة توصُّلًا إلى هذه الغاية، فقد تختفي وراء المؤشرات الناقصة – المعبر عنها في النصوص الدينية بـ(الشبهة) – وتمدها بزخم نفسي لتوجب قناعة الإنسان، فتكون تلك الشبهات غطاء إدراكياً للرغبات توجب تحويل وجهة الإدراك إليها.

وقد يتفق أن تؤثر على تغييب بعض الاحتمالات المخالفة لتلك الرغبات عن الذهن أصلاً بانصرافه عنها من حيث لا يحتسب، أو في التقليل من قيمة المؤشرات القائمة في الجهة المخالفة لها، وسلب واقعها النفسي الموجب للاعتبار العمليّ بها"[43]، وعليه: النوازع الانسانية لها أثر فاعل في الادراك السليم أو خلافه.

وهذا الشرط يُفهم من النصوص القرآنية والروائية التي بيّنت ما للتقوى من أثر كبير في حياة الفرد، وأن الذي يتّصف بالتقوى ستُفتح له أبواب المعنى ويكون مؤهّلا لتلقي المعارف الإلهية، ومن هذه النصوص: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة 2). وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة 282). وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ (الطلاق 2– 3)، فضلا عن نصوص أخرى جمّة في الكتاب العزيز، والمرويّ عن النبي (صلى الله عليه وآله)، وأهل البيت (عليهم السلام) في بيان صفات المتقين وما لهم من امتيازات اختصوا به من الله تعالى.

الثالث: التجرد والموضوعية: ويعني عدم الخضوع والميل والتعلق بالموروث، فإننا سنقع بالضلال عند تدبر آيات الذكر الحكيم من الموروث غير الموثوق به نتيجة المغالطات والتقليد الأعمى من غير دليل "والخطر الداهم –الآن– أن شعوبنا لا تمتلك –الآن– سوى تراثها وموروثها الحضاري والديني المنحدر من أسلافها، والذي صاغه الأسلاف بطرائق إدراك ومعرفة خاصة عائدة إلى المكونات التاريخية لذلك الموروث، وهو في سائر الأحوال له وعليه، وهنا مكمن الخطر إذ ستجد الأمة نفسها مسوقة دون اختيار للاحتماء بموروثاتها الحضارية والمذهبية والثقافية والايديولوجية دفاعاً عن النفس، ودون تمييز أو تعد أو تجديد أو تمحيص، وهنا سوف تدخل الأمة في صالة تعصب بالحق وغيره لموروثاتها، أما من وجهة نظرنا فإن الخطر في ذلك الارتداد غير المنظم إلى الماضي، هو أن شعوبنا في رجعتها هذه إلى الموروث سوف تجمد سائر حواس النقد ووسائله –إن وجدت– وتوقف أية ممارسات تجديدية داخلية فتصبح محاولات "التجديد النوعي الداخلي" على ضعفها وقلتها بدعة من البدع"[44].

يفترض بنا الالتزام بالأمانة مع آي الذكر الحكيم على جميع الأصعدة الفكرية والنفسية، فلا نُقحم الآيات القرآنية بآراء وافكار شخصية مبنية على ايديولوجيات مختلفة، بل لا بد من تهيئة النفس للاصلاح والتغيير.

وهذا يعني "... أنّ التعويل في أمر الدين على انطباع الآخرين خاطئ من وجهين:

1- إن الدين –بطبيعته– مما يناله نوعًا كلُّ إنسانٍ راشد بالبحث والتأمّل كما ينال طريقة توفير سائر احتياجاته في الحياة، وعليه : فالمطلوب فيه تحصيل إدراك راشد وصائب بشكل مباشر، وليس الرجوع إلى الغير ولو كان من أهل الخبرة والتخصص في الموضوع.
2- إنّ أهمية أمر الدين في حياة الإنسان يقتضي تبصر كل إنسان فيه بنفسه وعدم التعويل على قول الآخرين؛ لأن خطورته فوق خطورة كل موضوع آخر يفترض بفارق كبير للغاية، ولن تستقر النفس الإنسانية المتيقظة في حال تقدير هذه الأهمية حق تقديرها بالاعتماد على آخر في تحقيقها، ولاسيما أن مداركها ليست بعيدة في حال الجد والاهتمام بها.
3- إن التقليد في الموضوع لا يؤدي إلى نتيجة محددة؛ لوقوع الاختلاف فيه بين أهل الرأي والنظر وعامة الناس، فمنهم من صدق الرسالة التي جاء بها الأنبياء، وفي هؤلاء جماعة من علماء الطبيعة حتى بعد عصر النهضة العلمية الحديثة، كما أن هناك آخرين مشككين فيها ... وعلى الإجمال : فإن أمر الدين – بطبيعة ما – يقتضي أن يتحمل مسؤوليته كل إنسان بنحو مباشر ويتخذ القرار الواعي في شأنه، ولا محل للرجوع فيه إلى أهل الخبرة، كما في المواضيع التخصصية، كالطب، والهندسة، والصناعة، وغيرها"[45].

ويُفهم هذا الشرط من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً﴾ (الفرقان 73)، فمن يسعى إلى التدبّر في كتاب الله تعالى عليه أن يتجرّد من كل إفكار مسبقة في تلقيه لكتاب الله لينأى بنفسه عن أن يكون مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ . فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ (الصافات 69- 70).

الرابع: اعتماد ما سيُذكر من طرق تصل بالمتدبّر إلى المراد الإلهي من النص القرآني المتدبَّر فيه.

<u>خامسا: أبرز طرائق التدبر:</u>

1. طريقة الاستفهامات أو طريقة التساؤلات:

الإنسان بطبعه مفكرًا، وهذا يستدعي السؤال الدائم، وهذا المنوال نجده مذكورًا مفهوما في القرآن الكريم وفي نصوص محمد وآل محمد (صلوات الله تعالى عليهم).

وممّا يُفهم مجوّزًا اتخاذ طريقة التساؤلات منهجا في استنطاق النصّ القرآنيّ النصوص القرآنيّة التي كان محورها الاستفهام من قبيل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ (البقرة 215)، وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَنْفَالِ﴾ (الأنفال 1)، وقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْجِبَالِ﴾ (طه 105)، وغيرها من

النصوص التي صُدّرت بالسؤال، والأخرى التي جعلت دائرة إدراكها التفكر والتأمل في خلق الله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحقّ﴾ (فصلت 53). وكذلك ما ورد عن الأئمة الأطهار واكتفي بما ورد في نهج البلاغة دالًّا على مشروعية هذا الطريق، إذ ورد قوله (عليه السلام): "فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ وَاسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ[46]"، فنلحظ أن الإمام صدّر كلامه بمخاطبة السائل؛ لأن شرط ما سيذكره من معارف قرآنية هو السؤال والاستفهام، اي: سؤال الكتاب ومحاولة استنطاقه عن طريق طرح الاستفهامات عليه. وممّا يدلّنا عمليا على هذا المنوال قول الإمام في صفة ملك الموت "هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَ يَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا كَيْفَ يَصِفُ إِلَهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ"[47]، فالإمام يفتح منافذ معرفية للذهن في وصفه متسائلًا عارفا لكيفية قبض الجنين. وكذلك قوله (عليه السلام): "وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَد بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَة، وَلاَ لاحَد قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنىً; فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لاَوَائِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ، وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ، وَالْغَيُّ وَالضَّلاَلُ، فَاسْأَلُوا اللهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلاَ تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ، إنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللهِ بِمِثْلِهِ"[48]، فهذه النصوص وغيرها كثير دليل على مشروعية، بل ضرورة هذا المنوال في استنطاق الكتاب العزيز.

ويتمحور سؤال كتاب الله تعالى في مناحٍ شتى أبرزها معرفة معنى الكلمة، وتخير الكلمة، وموقع الكلمة، والشكل الخارجي للنصّ، والتسلسل المعنوي، والتناسب في الانتقال من غرض إلى غرض، والمتحدّث والمخاطب والموضوع، وغيرها من الأسئلة التي تكشف مراد النصّ.

ومثال على ذلك نأخذ قوله تعالى : ﴿**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين**﴾ (سورة الفاتحة، الآية 1-7)

فلو أردنا أن نتفحص دلالة هذا النص بناء على طرح التساؤلات، فيمكننا أن نتساءل ولست هنا بصدد وضع اجابات لما سأطرحه من أسئلة، فيمكننا أن نتساءل: لماذا البدء بالبسملة؟ وهل البسملة آية قرآنية؟ وهل تقرأ في الصلاة؟ ولماذا هاتان الصفتان (الرحمن الرحيم) من دون غيرهما؟ وجملة (الحمد لله رب العالمين) ماذا يراد بها في هذه الآية؟ وهل يعني ان هناك جوانب في الحياة غير سعيدة بحيث يفرض علينا ان نحمد الله تعالى كل حال؟ ولماذا حصر الحمد لله فقط؟ وهل يعني هذا تعالى لن يترك خلقه في كل الأحوال؟ و(مالك يوم الدين) هل هي اجابة عن التساؤلات التي تشغل بال الكثير من أين جئنا وإلى أين نسير؟ وما المصير؟ و(اياك نعبد واياك نستعين)، هل الاستعانة منحصرة بالله تعالى؟ وإذا كانت كذلك لماذا نجد أن القرآن بيّن في مواضع أخرى اتخاذ الاسباب الطبيعية في الحصول على

الأشياء؟ وفي قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) كيف يطلب الذي يروم الحقّ الهداية؟ ومن هم الذين انعم الله عليهم؟ وهل هناك فرق بين (المغضوب عليهم) و (الضالين).

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**﴾ (عبس 34–37)، فلو حاولنا فهم دلالة هذا النص بناءً على التساؤلات، فيمكننا السؤال: لماذا يفرّ المرء في ذلك اليوم المهول من أهله وأحبابه، وعادةً المرء يلجأ إلى أهله وأحبابه في الشدائد؟ وهل رابط النسب سيتغير في ذلك اليوم؟ وهل الفارّ هنا مؤمن أم صالح أم كلاهما؟ ولماذا الترتيب أخيه فأمه فأبيه فصاحبه فبنيه؟ وما الذي يجعل المرء ينشغل عن أحبّ الناس إليه في الشدة؟ وما المراد بشأن يغنيه؟ عن ماذا يغنيه ذلك الشأن؟، فبالإجابة عن هذه التساؤلات ندرك مراد النصّ القرآني. ومن الأمثلة ضمن منوال هذا الطريق الاستفهاماتُ التي يمكن أن ندرجها سعيا لفهم آيات الله تعالى في سورة البقرة من الآية (30) إلى الآية (37)، فيمكن ان نطرح الآتي:

كيف تم التخاطب بين الله تعالى والملائكة؟ ولماذا يورد البارئ للملائكة هذا الأمر؟ وما مدخلية الملائكة في هذا الأمر؟ ولماذا لم يتفرد الله تعالى في جعل الخلافة لآدم بلا إعلام الملائكة بذلك ومحاورتهم؟ ولماذا لم يقل (أني خالق في الأرض خليفة)؟ وما الفرق بين الجعل والخلق؟ وهذا الجعل (بالخلافة) هل الجن داخلون فيه؟ وإذا لم يكونوا كذلك، لماذا؟ وأليس القرآن يقول (وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون)؟ وما الذي يمكن انتزاعه من دلالات ومعان من ردّ الملائكة (أتجعل..)؟ وهل يستشفُّ من النص أن الله صدّق قول الملائكة أو لا؟ وما حقيقة تمثّل قولهم (عليهم السلام) في الواقع الخارجي؟ ولماذا بالتناظر سار الحوار ايجابيا مع الملائكة من الله تعالى، ولم يكن كذلك مع أبليس (عليه اللعنة)؟ وما علة اختيار الملائكة من بين الظواهر السلبية ظاهرتي (الإفساد وسفك الدماء)؟ وبالمقابل المذكور (التسبيح والتقديس) وما الذي يمكن أن تفهمه؟ وهل ردّ الملائكة يدخل في زاوية الاعتراض أو التعليم أو الإخبار؟ ومن أين استوحى الملائكة قولهم هذا؟ وهل يضمر قول الله (اني اعلم ما لا تعلمون) سعة علم الملائكة؟ ولاسيما اذا أضفنا لذلك خطبة الإمام علي (عليه السلام) في وصف الملائكة؟ وكيفية التعليم لآدم؟ وما المراد بالاسماء؟ وهل يمكن حمل لفظ آدم على معنى النوع والجنس؟ وهل تساوى التعليم من قبل الله للطرفين (الملائكة وآدم)؟ وهل (هم) في قوله (عرضهم) يدلّ على أن المعروض من العقلاء أو أن القضية خاضعة لظاهرة التغليب اللغوي؟ وقوله (ان كنتم صادقين) يشير إلى هذا؟ وما الذي يترشح منه قول الملائكة (سبحانك لا علم لنا الا ما علمنا)؟ وقول الله (ألم أقل لكم أي اعلم ما لا تعلمون)، هل هو سار ومستمر؟ وما الذي كتمه الملائكة وكيف نفهم (واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)؟ وهل السجود بالمعنى الحقيقي أو بالمعنى المجازي؟ وهل هذه الحوارية جرت على نحو التخاطب المتبادل اللحظي في زمن محدد أو أن الحوار حوار عملي وفعلي مستمر لليوم؟ وما الذي جعل ابليس الذي يرغّب آدم في سورة الاعراف بان يكون مع الملائكة أن يتسبّب في طرد نفسه من ذلك المقام؟ وما العبرة من ابليس بما

قام به؟ واين يقطن ابليس قبل خروجه وبعد خروجه؟ وكيف تسلل ابليس لآدم واغواه إذا كان آدم (عليه السلام) في الجنة، وهي ممنوعة على ابليس؟ وما المقصود بالشجرة؟ ولماذا أباح الله لآدم كل ما في الجنة ومنعه من شيء واحد؟ وهل الأرض المذكورة في جاعل في الأرض خليفة نفسها التي كان فيها آدم؟ وهذا التنوع في الامكنة هل يؤيد فكرة اصطفاء أماكن دون غيرها؟ وما نقاط التمييز والتشابه للقصة بين سورة البقرة والسور الأخرى ولاسيما الاعراف وطه؟ وما ثمار معرفة هذه القضية بالنظر إلى أن في قصصهم عبرة؟ وفي ذيل الآيتين 34 و 35 لماذا هذا التباين في الوصف؟ وما الذي تلقاه آدم (عليه السلام)؟ ووفقاً لنظرية تعدد القراءات هل يمكن إعطاء أكثر من لون وصيغة للنص الواحد؟

فبالإجابة على هذه التساؤلات يتضح المراد من زوايا متعددة من النص المطروح عليه الاستفهامات، إذن يمكن القول أن هذا الطريق ضرورة في إدراك خبايا النصّ، ومعرفة المراد منه.

2. طريق المقابلات النصيّة:

وهذا الطريق أشبه بمنهجية تأويل القرآن بالقرآن، وقد ورد في نهج البلاغة "أنّ الكتاب يصدق بعضه بعضا"[49]، وهذا الطريق يتلخص بان نضع مقابلات بين نصين أو أكثر لاستخراج المعاني الضامرة في النصوص. وأمثلة على ذلك ما ورد في سورة البقرة الآية (3– 5) إذ يبدأ التحدي بقوله تعالى ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ وبعدها ذكر اوصافهم ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَممَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾.

وبعدها يتحول التحدي في قوله تعالى : ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (سورة البقرة، الآية 23)، فهنا تعالى أتاح للجميع التحدي للإتيان بمثله .

وبعدها تعالى ينهي الأمر بقوله ﴿**فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ**﴾ وختم بنهاية من يعرض عن الله تعالى : ﴿**فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ (سورة البقرة، الآية 24) .

وثواب من يؤمن بالله تعالى : ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**﴾ (سورة البقرة، الآية 24).

وفي قوله تعالى : ﴿**إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم**﴾ (سورة الصف، الآية 6). أما في الآية السابقة من السورة نفسها يذكر الله تعالى اسم موسى (عليه السلام) مجرد فيقول: **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ (سورة الصف: الآية 5).

وفي هذه الإشارة لنسبة عيسى عليه السلام للسيدة مريم يوضح الله تبارك وتعلى تأكيده على بشرية عيسى (عليه السلام) وتفنيد آراء النصارى من كون عيسى (عليه السلام) فيه جانب إلهي.

وباعتماد هذا الطريق يمكن أن نفهم المراد بالنبأ العظيم في القرآن الكريم، إذ ورد ذكر النبأ بصفة العظيم مرتين في القرآن الكريم وقد فسر النصان أحدهما الآخر، فقد جاء ذكره في سورة النبأ ﴿**عَمَّ يَتَسَاءلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ**﴾ (سورة النبأ، الآية 1) وفي سورة ص ﴿**قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ * مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾ (سورة ص، الآية 67-68).

فمقابلة آيات سورة ص الدالة على أن النبأ العظيم مرتبط بمشاهد الآخرة وما يجري على المرء فيها، فمبقابلتها مع آيات سورة النبأ يتضح أن المقصود بالنبأ العظيم في سورة النبأ هو الآخرة وما فيها من مشاهد ومحطات.

وكذلك يمكن بالإفادة من طريق المقابلات النصيّة فهم المراد بالراسخين في العلم الوارد في موضعين من القرآن الكريم في سورة آل عمران، ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا**﴾ (سورة آل عمران، الآية 7) وفي سورة النساء: ﴿**لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ**﴾ (سورة النساء، الآية 162)، فالذي يتبيّن أن الراسخين في العلم صفة قيلت بحق بعض أهل الكتاب بناء على التبعيض في منهم (منهم التبعيضية) في سورة النساء، ويتضح من ذلك أن حصر الراسخين في العلم بآل محمد أمر غير صائب؛ لذا فالراسخون في العلم يتربع على قمة الصالحين فيهم محمد وآل محمد بحسب مقابلة النصين، ولكن هذه صفة يتّصف بها كل من جاء مصداقا لآية سورة آل عمران.

ولا يمكننا النظر إلى النصّ بانفراد من دون المقابلة مع النصوص الأخرى؛ لأن ذلك خلاف الدعوة القرآنية باعتماد النص بكلّه وعدم تبعيضه ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾ (سورة البقرة، الآية 85) وكذلك قوله: ﴿**الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ**﴾ (سورة الحجر، الآية 91).

3. طريق النقد والمناقشة:

يعتمد هذا الطريق على العقل بنحو رئيسي؛ لأن النقد لا بد أن يكون مستنداً إلى دليل وحجة، ويكاد يقتصر هذا الطريق على عرض كلام المفسرين وما يعتقده الناس بشأن النصّ القرآني لمعرفة ما يتقاطع منه مع مراد النصّ القرآنيّ، فالمتدبّر عليه أن لا يُسلّم للكلام الذي يرد إليه، وعليه أن يتأكد من صحته، بما أودعه الله تعالى من قوة العقل وما لديه من نصوص وغيرها.

ومن الأمثلة على هذا الطريق ما يسوقه جملة من المفسرين بشأن أمية النبي (صلى الله عليه وآله)، إذ ذهب أغلب المفسرين إلى أنّ المقصود بأمية النبي (صلى الله عليه وآله) أنه لا يقرأ ولا يكتب،

وهذا لا يصمد أمام النقد والمناقشة، فالعقل يحكم بكمال النبي (صلى الله عليه وآله)؛ لأنه بالدليل الوارد خير البشر وخاتم النبيين والمأخوذ لاجله الميثاق من الخلق جميعاً بما فيهم الانبياء (عليه السلام)، وعدم القراءة والكتابة يعد نقصا، ثم فلنتساءل: مَن علّم الامام علي (عليه السلام) القراءة والكتابة وهو يصرّح أنّه كان يتبع النبي (صلى الله عليه وآله) اتباع الفصيل لأمه (يعني لا يفارقه)، وكيف يعبر القرآن بلفظ اكتتبها إذا لم يكن يكتب في قوله: ﴿**قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ (سورة الفرقان، الآية 5).

أما ما ورد من لفظ (الأمّي) أو (الأميين) فهو نسبة إلى أم القرى ﴿**لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾ (سورة الشورى، الآية 7) والدليل على ذلك ما ورد من نصّ منسوب إلى الإمام الجواد (عليه السلام)، إذ سأله أحدهم: "لم سُمّي النبي (صلى الله عليه وآله) الأمّي؟ قال: (ما يقول الناس؟) قلت له: جعلت فداك يزعمون أنما سمّي النبي (صلى الله عليه وآله) الامّي لأنه لم يكتب، فقال: (كذبوا، عليهم لعنة الله، أنّى يكون ذلك، والله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه: ((هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة))، فكيف كان يُعلّمُهم ما لا يُحسن، والله لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقرأ ويكتب باثنين وسبعين أو بثلاثة وسبعين لساناً، وإنما سُمّي الأمّي لأنه كان من أهل مكة، ومكة من أمهات القرى، وذلك قول الله تعالى في كتابه: ((ولتنذر أم القرى ومن حولها))"[(50)] .

وممّا يستأهل الوقوف تحليلا ونقدًا ما ذهب إليه بعض المفسرين من قبول التجسيم لله تعالى في جملة من النصوص القرآنية، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ [المائدة 64].

((وهذه استعارة، ومعناها أنّ اليهود أخرجوا هذا القول مخرج الاستبخال لله سبحانه، فكذّبهم تعالى بقوله: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾، وليس المراد بذكر اليدين ههنا الاثنتين اللتين هما أكثر من الواحدة، وإنّما المراد به المبالغة في وصف النعمة. كما يقول القائل: ليس لي بهذا الأمر يدان، وليس يريد به الجارحتين، وإنّما يريد المبالغة في نفي القوة على ذلك الأمر))[(51)].

وبذا يمكن القول أنّ القرآن الكريم استعمل اليد بمفهومها المجازي عند العرب، ولعلّ هذا المفهوم – أعني المجازي– كان قد استقرّ في أذهانهم؛ لكثرة دوران العطاء والهبة والإعانة والإنفاق في خطاباتهم؛ لذلك كان العربيّ مدركًا لما أراده القرآن بإيراد اليد في سياقات العطاء والبذل، أو القوة والهيمنة، إذ لم تذكر الروايات أنّ أحدهم ذهب ذهنه إلى معنى اليد الحقيقي، ويعضد ذلك أنّ القرآن الكريم نزل بالتوحيد وإبطال الشرك والأصنام، واليد الحقيقيّة من لوازم أصنامهم التي يعبدونها، وهي مجسّمة أمامهم، فليس من المعقول أن يكون الإله الحقّ الذي لا يُحدّ، مذكورًا في القرآن بما يشبه ما كانوا عليه ويعتقدونه من حدود الآلهة الجسميّة التي يعرفونها.

وأشار أبو علي الفارسي إلى أنّ قوله: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾ لا يدلّ على تقليل النعمة، ولكنّه يدلّ على الكثرة والمبالغة، وهذا شبيه بقولنا: لبيك، والمراد إقامة على طاعتك بعد إقامة، وكذلك سَعْدَيْك إنّما هو مساعدة بعد مساعدة، وليس المراد بذلك طاعتينِ اثنتين ولا مساعدتين، فكذلك المعنى في الآية نعمة متظاهرة متتابعة، فهذا وجه، وإن شئت حملت المثنى على أنّه تثنية جنس لا تثنية واحد مفرد[52]. وممّا جاء على النسق نفسه في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**ثم ارجع البصر كرتين**﴾ [الملك 4]، والمعنى كرّات[53]. وجاء قوله تعالى: ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ بطريقة التثنية للمبالغة في الجود والإنعام.

وذكر الزمخشري أنّ غلّ اليد وبسطها مجازٌ عن البخل والجود، قائلا: ((ولا يقصد من يتكلّم به إثبات يد، ولا غلّ ولا بسط، ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه؛ لأنّهما كلامان متعقبان على حقيقة واحدة، حتى إنّه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قطّ، ولا يمنعه إلا بإشاراته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها، ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزيلا لقالوا: ما أبسط يده بالنوال؛ لأنّ بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود))[54]، لكنّ العرب لم تعبّر بـ (غلّ يده)، وتقول: امسك يده وقبض يده، إلّا في القرآن كما في الآية، وفي آية سورة الاسراء ﴿**ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك**﴾، وهذه استعارة قويّة؛ لأنّ مغلول اليد لا يستطيع بسطها في أقلّ الأزمان، فلا جرم أن تكون استعارة لأشدّ البخل والشحّ[55]، وقد أشار القرآن الكريم في موضع آخر إلى بيان قول اليهود في الآية الكريم، ونسبتهم لله عزّ وعلا الفقر بقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**﴾ [آل عمران 181]. وممّا يعضد مجيء اليد بمعنى النعمة، ما ورد عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنّه قال لأزواجه: "أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا"[56]، إشارة إلى العطاء.

ومثل ذلك ما وقع فيه جملة من المفسرين من تأويل البلاء في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾ (البقرة 49)، بأنه إشارة إلى العذاب والتذبيح والاستحياء الوارد في الآية، ولكننا إذا دققنا في النصّ لاتضح لنا أن (ذلكم) إشارة إلى المذكور البعيد كما يصرّح أهل صنعة النحو بذلك، وعندها (ذلكم) إشارة إلى النجاة، أي: وفي نجاتكم بلاء، فالبلاء الذي من الله تعالى هو النجاة لينظر كيف يعملون، ولاسيما إذا أضفنا لهذه الآية آية سورة إبراهيم التي جاء فيها ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ. وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ (إبراهيم 6–7)، إذ إن الآية السابعة من سورة إبراهيم بيّنت نتيجة هذا البلاء (الذي هو نعمة النجاة)، أهي الشكر أم الكفر؟، وهذا يتوافق مع قاعدة أن الله يصدر منه الخير ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ**﴾ (النساء 79).

4. طريق العرض على الواقع:

النص يتنفس الحياة في واقعه العملي، فالأساس في النصّ الديني هو العمل السليم النابع من الاعتقاد السليم، وورد عن الإمام علي (عليه السلام) في صفة القرآن الكريم قوله: "لا تخلقه كثرة الرد وولوج السمع، من قال به صدق، ومن عمل به سبق"[57]، وهناك كلمة لابن عباس نصُّها "لا تفسروا القرآن دعوا الزمان هو من يفسره"[58].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) لمّا سئل: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضة؟ قال: "لأن الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة"[59].

فهذه الأحاديث تدلّ على واقعية النصّ، وانه ينبغي ان يلامس الواقع المعاش؛ لذا علينا ان نجاهد في أن نضع في حساباتنا في اثناء التدبر أنّ النصّ القرآنيّ يحدثني اليوم عن حالي ووظيفتي وأسرتي وأصدقائي وما أشبه، فلا بد من أنّ النصّ يعيش في الواقع، ولكن علي ان اكتشف مكامن تلك الحياة، ومن الأمثلة على هذا الطريق:

الموقف من النظام المخالف لله سواء أكان عشائريًّا أم سياسيًّا أم متسترًا بمنطق الدين: إذ وسم القرآن الكريم من لم يحكم بما أنزل الله بالكفر والظلم والفسق، ونهى المؤمنين من اتخاذ الكافرين والظالمين والفاسقين أولياء. وعليه فكل نظام أو مجموعة تدعو للحكم بغير ما أنزل الله تعالى فينبغي البراءة منها وتركها، وذلك وفقا لما أورده كتاب الله تعالى في النصوص الآتية:
﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة 44)، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) وقوله: ((وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة 47)، وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة 50)، ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (سورة التوبة، الآية 23–24)، وقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة المجادلة، الآية 22).

فالنظام العشائري اليوم بنظامه وضوابطه يخالف تعاليم الدين الإسلامي، والقرآن الكريم ينعته بالحكم الجاهلي ويرسم مناحي شتى للتعامل معه، فإذا كنت لا اعتمد عرض الواقع على القرآن سأغفل عن هكذا سلوك ملحّ في الحياة وأقعُ في اللبس.

وكذلك نهانا الله تعالى من السير مع من فرّق الدين، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام 159)، وقال أيضا: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ. مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الروم 30– 32). إذن في ذلك نهي صريح بأن لا ينتمي المؤمن إلى الذين فرّقوا الدين ووصفهم بالمشركين. وكل ذلك يتضح بعرض النصّ على الواقع لاتخاذ الموقف من هذه الفئات التي يذكرها كتاب الله المبارك.

5. طريق المناسبة أو الملاءمة:

ويُراد بهذا الطريق هو توافق معنى الآية للسياق الواردة فيه، بما يتناسب مع دلالة النصّ قبلًا وبعدًا. ومن أمثلة هذا الطريق قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً﴾ (النساء 34)، فالغيب حين يرد في القرآن الكريم نفهم منه أن المقصود به، الإيمان بما غاب عنّا وصدّقه الله تعالى من توحيده والإيمان بالأنبياء واليوم الآخر، ولذا عُدّ الإيمان بالغيب من صفات المتقين ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾، ولكن هذا المعنى بهذه الصورة لم تكن آية سورة النساء مريدة له، بل إن السياق يشير أنهن أي النساء حافظات ((لأنفسهن وفروجهن في حال غيبة أزواجهن... ويقال: حافظات لأموال أزواجهن فيي حال غيبتهم، راعيات لحقوقهم وحرمتهم))[60].

6. طرائق أخرى:

تُورد كتب علوم التفسير طرقًا ومناهج في تأويل النصّ القرآني، منها: منهج التأويل بالمأثور عن أهل القرآن، والمنهج اللغوي، والمنهج البياني، والمنهج الصوفي، والمنهج الفلسفي، وغيرها، ولكن هذه المناهج تعتمد أقوال العلماء والجانب الاكتسابي أكثر من طريق إعمال الفكر والتأمل، ومن الأفضل توافر كل هذه الطرق في عملية التدبر للوصول إلى المعنى الحقّ في الآية المباركة.

وينبغي التنبيه على أن طريق التأويل بالمأثور يعتمد في معرفة معنى النص على ما ورد على لسان أهل الذكر وترجمان القرآن محمد وآل محمد (عليهم الصلوات والسلام)، ولكن لا بدّ من أن يتم إحراز سلامة النص الوارد عنهم (عليهم السلام) من ناحية عدم مخالفته للنص القرآني بناء على اعتماد الطرق المذكورة آنفًا، وكذلك ينبغي إحراز أنّ الناقل كان مستوعبا لما أصدره النبي (صلى الله عليه وآله)، أو

الإمام (عليه السلام)؛ فلدينا نصوص ألمحت إلى ضرورة إحراز ذلك، منها قوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ**﴾ (سورة محمد، الآية 16)، وبتضافر هذه الطرق والمناهج يمكن الوصول إلى المراد القرآنيّ بعون الله تعالى وكرمه.

سادسا: الخاتمة:

بعد أن وصلنا إلى نهاية رحلتنا في هذا البحث، لا بد من ذكر أهم النتائج التي توصلنا اليها، وهي :

1- التدبر عملية إعمال الفكر في استنطاق النص للوصول إلى الصواب، ومن يتلو القرآن الكريم يعلم جيداً أن الله عز وجل دعانا للتفكر والتدبر في آياته المباركة، ومعنى ذلك أن مقومات التدبر مودعة فينا، ولدينا القابلية على تقليب النص على وفق ما نمتلك من ثقافة.
2- توظيف كلّ المعارف التي يتمّ الحصول عليها في خدمة قراءة النص بالشكل الذي يطمئن ويكون مصحوباً بالأدلة التي لا تقبل الشك.
3- أهم صفة ينبغي التحلي بها الصدق، لأن البارئ تعالى ينظر لقلبك، ولو علم فيك الصدق والخير سيسمعك ويكلؤك بعنايته، بدليل قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ**﴾ (سورة الانفال، الآية 23)
4- هناك طرق ينبغي اعتمادها في تدبّر النصّ القرآني، للوصول إلى المراد، هي: طريق الاستفهامات، وطريق العرض على الواقع، وطريق الملاءمة والمناسبة، وطريق النقد والمناقشة، وطرق أخرى.
5- من ينتهج أسلوب طرح الأسئلة على النصّ القرآني فإنه ينظر إلى زوايا في النص لم يكن ليلتفت اليها إذا قرأ النص من دون هذه الطريقة، ويمكنك أن تدرك ذلك بإقامة تجربة عملية بنفسك، وعلى وفق تجربتي هذه الطريقة تزيل الغشاوة عن كثير من مبهمات النص، وبالتتابع في انتهاج هذه الطريقة تتولد أجوبة عن بعض الاسئلة التي تم طرحها سابقا، من أسئلة تطرح لاحقا على النصّ.
6- اعادة قراءة النص اكثر من مرة وتقليبه مع النصوص المماثلة أو القريبة، وعدم اعتماد بعض من الآيات وترك الآخريات، أي : انتهاج طريقة الذين جعلوا القرآن عضين، وقد ذم القرآن هذه الطريقة بقوله : ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾ (سورة البقرة، الآية 85) .
7- تحقيق الوسائل التي تضمن التدبّر السليم، وصولًا إلى مرضاة الله تعالى، من قبيل الكفر بالطاغوت، وإعلان الولاء لله وحده، وصدق البحث عن الحق، والاستعداد للتخلي عن أي شيء مهما عزّ من أجل الحقّ، والطلب من الله تعالى أن يشقّ لك الطريق صوب الحقيقة، وان يوفقك ويسدد خطاك في مسيرتك التدبّريّة.

الحواشي:

(1) المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي (ت 770هـ)، مؤسسة دار الهجرة، إيران، الطبعة الأولى، 1405هـ: 558.

(2) لسان العرب، ابن منظور (ت 711هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، 2009: 297/15.

(3) جمالية التلقي، هانس روبرت باوس، ترجمة: رشيد بن جدو، دار الأمان، الرباط، 2016: 110.

(4) ينظر: قضية التلقي في النقد العربي القديم، دار العالم العربي للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2006: 45.

(5) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1997، 392/17.

(6) التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، دار الأنوار، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى: 46/18.

(7) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000: 541/2.

(8) الميزان، الطباطبائي: 342/19.

(9) استراتيجية الإقناع في الخطاب القرآني السور المكية أنموذجا، جمال شلباب، رسالة ماجستير من جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2016: 118.

(10) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت 295 هـ)، اعتنى به: د. محمد عوض مرعب والآنسة فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، 2008: مادة (دبر)/ 355.

(11) لسان العرب، ابن منظور ج4/ ص 316- 317.

(12) التعريفات ، الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الثالثة، 2009، ص67.

(13) في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، قدّم له: عبدالله بن عبد العزيز بن عقيل و محمد الصالحي العثيمين، اعتنى به تحقيقًا ومقابلة: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2002: 1/189-190.

(14) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، دون طبعة، تونس، 1984، 1/ 575.

(15) مدارج السالكين، ابن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، 2003: 45/1.

(16) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية، 1414 هـ: مج 828/4.

(17) الوسائل، الحر العاملي: 829/4.

(18) الوسائل، الحر العاملي: 4/ 829.

(19) الاحتجاج على أهل اللجاج، أحمد بن عل الطبرسي، تعليق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الأشرف، العراق، 1386هـ: 75/1.

(20) مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، لبنان، 1416هـ: 29/ 442.

(21) وسائل الشيعة، الحر العاملي: 194/27.

(22) نهج البلاغة، الإمام علي (عليه السلام)، جمع: الشريف الرضي، تحقيق: هاشم الميلاني، العتبة العباسية المقدسة، الطبعة الثانية، كربلاء العراق، 1437هـ: 203.

(23) نهج البلاغة، الإمام علي (عليه السلام)، جمع: محمد بن الحسين الموسوي الشريف الرضي، تحقيق وتصحيح: عزيز الله العطاردي، مؤسسة نهج البلاغة، الطبعة الأولى، قم- إيران، 1414هـ: 426.

(24) من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن بابويه الصدوق، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم، 1413هـ: 388/4.

(25) رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، باب استحباب الاجتماع على القراءة: 63/5.

(26) ينظر: التدبر في القرآن، محمد رضا الشيرازي، دار العلوم، الطبعة الثالثة، 2010: 16- 20.

(27) مجمع البيان، فضل بن حسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي: 2/ 470.

(28) ينظر: التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، مؤسسة النشر الإسلامي، المقدمة.

(29) المناهج التفسيرية في علوم القرآن، جعفر السبحاني، دار الولاء، لبنان، 2005: 62.

(30) سنن الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق: بشار عواد، دار القرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1998: 49/5.

(31) وسائل الشيعة، الحر العاملي: 45/27.

(32) التوحيد، الصدوق، تحقيق: هاشم الطهراني، جماعة المدرسين، قم- إيران، الباب 36: 264.

(33) وسائل الشيعة، الحر العاملي: 27/ 185.

(34) جامع البيان، الطبري: 27/1.

(35) المفردات ف غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ضبط: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، الطبعة الأولى، 2008: 217.

(36) المراجعات، عبد الحسين شرف الدين، دار الأندلس، بيروت، الطبعة السابعة، 2010: 18-25.

(37) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان: 90/ 12.

(38) التدبر في القرآن الكريم، محمد رضا الشيرازي: 36- 40.

(39) نهج البلاغة، الإمام علي (عليه السلام)، جمع الشريف الرضي، شرح محمد عبده، مؤسسة الصفاء للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 2010. ص202.

(40) التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، دار الأنوار، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة: 335/5.

(41) بحار الأنوار، المجلسي: 75/ 132.

(42) شرح المصطلحات الكلامية، إعداد قسم الكلام في مجمع البحوث الإسلامية، دار البصائر، الطبعة الأولى، 1415: 79.

(43) ينظر: القواعد الفطرية العامة للمعرفة الإنسانية، محمد باقر، دار الكتب للوثائق، الطبعة الثالثة، 2018: 310- 311.

(44) نحو منهجية معرفية قرآنية، طه جابر العلواني، دار الهادي، الطبعة الثانية، 2008: 21.

(45) القواعد الفطرية، محمد باقر: 379- 380.

(46) نهج البلاغة، الإمام علي (عليه السلام)، شرح: محمد عبده: 123.

(47) نهج البلاغة، الإمام علي (عليه السلام)، شرح: محمد عبده: 167.

(48) نهج البلاغة، الإمام علي (عليه السلام)، شرح: محمد عبده: 243.

(49) نهج البلاغة، الإمام علي (عليه السلام)، شرح: محمد عبده: 46، وينظر: المصدر نفسه: 191 و 192.

(50) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، 125/1.

(51) تلخيص البيان في مجازات القرآن: 133.

(52) ينظر: مجمع البيان: 307/3.

(53) ينظر: التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: 226/2–227.

(54) الكشاف: 610/1.

(55) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: 249/6.

(56) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، الحديث رقم (2452)، ص 644.

(57) نهج البلاغة، الإمام علي (عليه السلام)، شرح: محمد عبده: 214.

(58) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: 6/1.

(59) بحار الأنوار، المجلسي: 92: 15.

(60) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، دار المرتضى، لبنان، الطبعة الأولى، 2006، ج3/ ص66.

المصادر :

1. القرآن الكريم.
2. الاحتجاج على أهل اللجاج، أحمد بن عل الطبرسي، تعليق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الأشرف، العراق، 1386هـ.
3. استراتيجية الإقناع في الخطاب القرآني السور المكية أنموذجا، جمال شلباب، رسالة ماجستير من جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2016.
4. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1966.
5. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت– لبنان.
6. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، دون طبعة، تونس، 1984.
7. التدبر في القرآن، محمد رضا الشيرازي، دار العلوم، الطبعة الثالثة، 2010.
8. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ)، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، (د.ط)، (د.ت).
9. التعريفات ، الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الثالثة، 2009.
10. التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، دار الأنوار، بيروت– لبنان، الطبعة الرابعة.
11. تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي (ت 406هـ)، تحقيق: محمّد عبد الغني حسن، دار الأضواء، بيروت، ط2، 1986.
12. التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، مؤسسة النشر الإسلامي.
13. التوحيد، الصدوق، تحقيق: هاشم الطهراني، جماعة المدرسين، قم– إيران.
14. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000.
15. جمالية التلقي، هانس روبرت باوس، ترجمة: رشيد بن جدو، دار الأمان، الرباط، 2016.
16. رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، مكتبة مدار الوطن، 2008.
17. سنن الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق: بشار عواد، دار القرب الإسلامي، بيروت– لبنان، 1998.
18. شرح المصطلحات الكلامية، إعداد قسم الكلام في مجمع البحوث الإسلامية، دار البصائر، الطبعة الأولى.

19. صحيح مسلم: ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ترقيم وترتيب: الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، دار اليقين.
20. علل الشرائع، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1966.
21. فن التدبر في القرآن الكريم، عصام بن صاحل العويد، الطبعة الثالثة، السعودية،2010م.
22. في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، قدّم له: عبدالله بن عبد العزيز بن عقيل و محمد الصالحي العثيمين، اعتنى به تحقيقًا ومقابلة: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2002.
23. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الحديث، الطبعة الثانية، القاهرة، 2008.
24. قضية التلقي في النقد العربي القديم، فاطمة البريكي، دار العالم العربي للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2006.
25. القواعد الفطرية العامة للمعرفة الإنسانية، محمد باقر، دار الكتب للوثائق، الطبعة الثالثة، 2018.
26. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، تعليق وشرح: الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، (د.ط)، 2012.
27. لسان العرب، ابن منظور (ت 711هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية، 2009.
28. مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت 548هـ)، دار العلوم، بيروت، ط1، 2005م.
29. مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، دار المرتضى، لبنان، الطبعة الأولى، 2006.
30. مدارج السالكين، ابن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، 2003.
31. المراجعات، عبد الحسين شرف الدين، دار الأندلس، بيروت، الطبعة السابعة، 2010.
32. مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، لبنان، 1416هـ.
33. المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي (ت 770هـ)، مؤسسة دار الهجرة، إيران، الطبعة الأولى، 1405هـ.
34. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت 295 هـ)، اعتنى به: د. محمد عوض مرعب والآنسة فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، 2008.
35. المفردات ف غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ضبط: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، الطبعة الأولى، 2008.
36. من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن بابويه الصدوق، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم، 1413هـ.
37. المناهج التفسيرية في علوم القرآن، جعفر السبحاني، دار الولاء، لبنان، 2005.
38. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، 1997.
39. نحو منهجية معرفية قرآنية، طه جابر العلواني، دار الهادي، الطبعة الثانية، 2008.

40. نهج البلاغة، الإمام علي (عليه السلام)، جمع الشريف الرضي، شرح محمد عبده، مؤسسة الصفاء للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 2010.
41. نهج البلاغة، الإمام علي (عليه السلام)، جمع: الشريف الرضي، تحقيق: هاشم الميلاني، العتبة العباسية المقدسة، الطبعة الثانية، كربلاء العراق، 1437هـ.
42. نهج البلاغة، الإمام علي (عليه السلام)، جمع: محمد بن الحسين الموسوي الشريف الرضي، تحقيق وتصحيح: عزيز الله العطاردي، مؤسسة نهج البلاغة، الطبعة الأولى، قم- إيران، 1414هـ.
43. وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية، 1414 هـ.